بسم ا الرحمن الرحيم



روايات منتقدة في الصحيحين بدعوى مخالفة العقل عرض ونقد

بحث مقدم لمؤتمر الانتصار للصحيحين المنعقد في الفترة من 14– 2010/7/15م

بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية

إعداد:

الباحث خالد بن عبد الرحمن الطحاينة

الحمد رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد بن عبد ا ، وبعد:

فهذا بحث مختصر حول بعض أحاديث الصحيحين التي انتقدها العقلانيون؛ جهلاً وجرأة!

وسوف أقسم البحث إلى ثلاثة أقسام:

1-التعريف بالمنهج العقلاني وأهم المآخذ عليه، ويتضمن هذا القسم التعريف بالعقل والمقصود به.

2-التعريف بمنهج المحدثين، وبيان عدم استيعاب العقلانيين لهذا المنهج فضلاً عن تصورهم عظمة هذا المنهج!

3-عرض لمجموعة من أحاديث الصحيحين انتقدها العقلانيون؛ ويكون ذلك بعرض نص الحديث، ثم عرض للشبهات التي أثيرت حوله، ثم رد هذه الشبهات بما يليق بها، كل ذلك باختصار غير مخل إن شاء ا .

ولأن مقصودنا ليس توثيق الشبهات عمن صدرت عنه فإننا سنكتفي بعرض هذه الشبهات دون الإحالة على مصدرها، مع العلم بأنها مما سمعناه ممن ناقشونا في أحاديث الصحيحين، أو قرأناها في كتب المتكلمين السابقين أو العقلانيين المعاصرين، أو على الشبكة.

أسأل ا تعالى أن يكون هذا البحث خالصاً لوجهه، وأن ينفع به كل من قرأه أو سمعه. والحمد رب العالمين.

خالد بن عبد الرحمن القاسم

مقدمة في المنهج العقلاني تتضمن تعريف العقل:

1-تعريف العقل:

العقل لغة: قال الزبيدي: (18/30) "العقل: العلم، وعليه اقتصر كثيرون..." إلى أن قال: "هذه الأقوال التي ذكرها المصنف كلها في مصنفات المعقولات لم يعرج عليها أئمة اللغة، وهناك أقوال أخرى لم يذكرها المصنف"اهـ.

العقل في الاصطلاح: من الواضح أن المقصود بلفظ (العقل) بهذه الصورة هو ما يمنع من الخطأ ويمسك صاحبه عن الوقوع فيه ويوجهه إلى الأفضل من القول والفعل دائماً.

ويمكن القول أيضاً بأن العقل هو التمييز، وربما يكون هذا هو مقصود من يطلقون لفظ العقل غالباً.

وأنبه إلى أنني لم أجد تعريفاً شافياً للعقل؛ سواء في كتب اللغة أو كتب المصطلحات أو كتب الكلام أو غيرها؛ فهو مصطلح مشكل حقاً؛ مع اتفاق الناس على تداوله!

ومما يلاحظ أن لفظ (العقل) -كذا بهذه الصورة- لم يرد في القرآن مطلقاً، كما صرح بعض العلماء بأنه لم يرد في السنة على المعنى المتداول، وقد ورد في "الصحيح" بمعنى الدية[1]، وبمعنى الضبط[2].

وفي كل الأحوال فإن العقل -مهما كان معناه ومهما كان المقصود منه- لا يستطيع الحكم على الأشياء والوقائع، ولكنه

[1] انظر: صحيح البخاري؛ برقم (111)، وصحيح مسلم: برقم: (4484).

[2] انظر: صحيح مسلم؛ برقم: (250).

يميزها فقط! ومن هنا فمن الخطأ أن يكون العقل حكماً على الحقائق والوقائع وهو لا يستطيع أن يميز إلا من خلال هذه الحقائق والوقائع!

2-تمهيد: في الطريقة (العقلانية)، ومناهج أصحابها:

حتى نفهم طريقة العقلانيين، ونستطيع الدخول منها إليهم وننقدها نقداً منهجياً صحيحاً فلا بد من فهم منهجهم الأصلي الذي ينطلقون منه في جميع أفكارهم ومسالكهم وتصرفاتهم.. وهذا ما دعاني لكتابة هذا التمهيد..

فالمنهج العقلاني هذا منهج قديم يتعامل مع الأمور من خلال وجهة نظر معينة؛ تقوم على أساس الاستدلال -بشقيه- (وهو البناء على معلومات سابقة للوصول إلى معلومات جديدة من خلالها!).

فمن خلال ما ذكرت عن (الاستدلال) نجد أنهم يحاولون البناء على (المعلومات) المتوفرة لديهم ليصلوا إلى (حقائق) جديدة، ومن هنا نرى ابتداء الخلل الذي أصاب المنهج العقلاني من بداياته!

فالحقائق مصدرها الواقع المباشر، وليست الصور الموجودة في الدماغ والتي ليست من الواقع بالضرورة -مهما قاربت الواقع في نفس المتصور لها-؛ فقد تكون متصورة أو متخيلة أو متوهمة، بل قد تكون مأخوذة من الواقع لكنها انتهت في الحقيقة ولم يعد لها وجود.

ولكن العقلانيين يصرون على جعل التصورات كالحقائق المشاهدة مباشرة على أرض الواقع؛ فهم يبنون على ما يتوفر لديهم من (معلومات) أو (صور) ويحاولون استغلالها واستثمارها قدر المستطاع ليخرجوا منها بمعلومات جديدة!

ومن هنا فإننا نراهم يجهدون أنفسهم في عمليات (التجريد) التي أفرزت (الرياضيات)، وعمليات (التقعيد-إطلاقاً أو تعميماً-) التي أفرزت (العلوم) بأنواعها..

فبالتجريد استطاعوا الترميز للحقائق والاحتمالات ولم يكتفوا بذلك بل أدخلوا الممكنات والخيالات في عمليات التجريد، ومنهم من أغرق في ذلك وأصبح يسير خلف الممكنات والخيالات ويخترع النظريات الرياضية الخيالية أو القائمة على الخيال؛ كالأبعاد المتعددة والسفر عبر الزمن وحالة الأجسام واستحالتها عند سرعة الضوء... وغير ذلك من النظريات التي لا يسعفها الواقع، ولا تزال على قيد الخيال؛ لعدم وجود الآلية أو التسلسلية الصحيحة المعلومة أو المنضبطة لوقوعها! ومن المعلوم أن كون الشيء ممكناً لا يعني أنه واقع، وكل ما في الأمر أنه لا يوجد لدينا ما يمنع منه!

أما التقعيد؛ فقد استطاعوا من خلاله إيجاد نظريات كثيرة لا تحصى كما هو مشاهد فلا يخطر ببال أحد من العقلانيين شيء إلا كان نظرية! حتى وصل الأمر إلى جعل الممكنات كالمحتملات ثم جعل المحتملات كالحقائق الواقعات، ومن هنا جاءت الطامات!!

ومن المعلوم الآن والذي أصبح بدهياً عند جميع الباحثين؛ بأن (التجريدات) مهما كانت (منطقية) كما يسمونها فإن ذلك لا يعني أنها واقعية بالضرورة حتى تثبت في الواقع أي حتى تشاهد على أرض الواقع، ولا نستطيع التأكد أنها واقعية إلا من خلال المشاهدة أو من خلال اللوازم أو المقاييس، وكذلك (التقعيدات) فكلها محتملة ولا شيء منها يستطيع الإنسان الجزم بها على إطلاقها أو عمومها؛ إلا بعد التثبت منها؛ وإلا فإنها تبقى ممكنات ومحتملات لا تلزم إلا من وضعها وحسب! بل إنها لا تلزمه هو نفسه وبإمكانه أن يخرج منها متى شاء!

ولكن لا نستطيع إغفال حقيقة بادية الآن وهي أنه بات يلاحظ أن أتباع هذا المنهج من المحدثين بدؤوا يتوجهون نحو الواقع فيستكشفون ويجربون ويحصون ويحسبون، ويصنعون المقاييس الدقيقة ويستخدمونها وقد نجحوا في أمور كثيرة لم يكن غيرهم لينجح بها مما يدل على أنك كلما اقتربت من الواقع المشاهد المباشر كلما كنت أكثر دقة وأكثر علماً وأكثر

حكمة! فالحكمة هي الأخذ من الواقع وليست هي في محاولة التقعيد على ما بلغته من العلم وتفرح بما عندك منه! (ومن هنا كان خطأ تسمية الفلاسفة بالحكماء فهم أبعد الناس عن الواقع وعن العلم وعن الحكمة)!

ومن أشد أخطاء (العقلانيين) أنهم أرادوا أن يحكموا على كل شيء حتى الأمور الإنسانية من خلال ما لديهم من صور أو تصورات! مع أن الأمور الإنسانية ليست منضبطة كالطبعيات فلكل وجهة هو موليها، ولن تجد مجتمعاً مهما كان عدد أفراده قليلاً يجتمع على أشياء بعينها بحذافيرها حتى لو بدا لنا ذلك بادي الرأي!

نعم؛ قد يجتمع أفراد المجتمع على تلك الأمور الثلاثة التي يشكلها المجتمع عادة أو يتفق أفراده عليها وهي: الدين، واللغة، والتقاليد، ولكن ذلك لا يعني أنهم متفقون في كل شيء بحذافيره! ولكل أن يجرب ذلك بنفسه فسوف يجد اختلافاً كثيراً بين أفراد المجتمع الواحد في المنطلق والأولويات والاهتمامات وطريقة التفكير...الخ ومن هنا فإننا نجد أنه من الصعب جداً إخضاع جميع الناس لقاعدة معينة أو إخضاع جميع الأفعال الإنسانية إلى قاعدة منضبطة.

ومن هنا نصل إلى خطأ (العقلانيين) الذين يريدون تحكيم ما توصلوا إليه من علم يخالطه تصورات معينة وتخيلات قد لا يكون لها أساس من الواقع في نصوص الشرع التي يفترض أنها جاءت من لدن حكيم خبير الذي أحاط بكل شيء علماً كيف لا وهو الذي خلق كل شيء وهو بكل شيء عليم! فهؤلاء يريدون أن يكون علمهم القاصر حكماً على علم من أحاط بكل شيء علماً! ويريدون أن يغيروا معاني الشرع ويحرفوها لتوافق ما يريدونه هم مع أن دين ا تعالى الذي يبغون غيره يقوم على الإسلام المطلق رب العالمين وليس على التفكير أو الاقتناع كما يزعمون! بل إن هناك تناقضاً بين الإسلام والاقتناع! فالإسلام يعني أن تسلم تعالى في كل شيء دون حرج أو تردد أو تفكير أو روية بل تسلم تسليماً أما الاقتناع فيعني الحرية أصلاً في الأخذ والرد!

ولذلك ينبغي أن يعلم العقلانيون أن الأخبار التي تضمنها الشرع جاءت من لدن من أحاط بكل شيء علماً أما الأحكام فقد جاءت من لدن من لا إله إلا هو أي من يخضع له كل شيء وأمره له يحكم فيه كيف يشاء وليس لنا إلا الإسلام المطلق له فأحكامه لا تخضع للتفكير ولو خضعت فإن التفكير لا يقدم ولا يؤخر إذ لا بد في النهاية من الخضوع المطلق رب العالمين وعلى هذا الأساس أسلمنا له سبحانه..

ومن هنا نرى أن العقلانيين بكل أشكالهم ومسمياتهم ومنهم المتكلمون إنما يتبعون الأهواء بغير هدى من ا تعالى ويحاولون تطويع الدين لأهوائهم هذه..

مخالفة العادة عند العقلانيين تجعلهم يرفضون الخبر!

وهذا من أهم ما وقع فيه هؤلاء! فأنت تراهم يردون الخبر لمجرد أنه خالف ما اعتادوا عليه! ولذلك فقد ردوا أحاديث كثيرة لعدم اعتيادهم عليها

وفي هذا البحث رد على هؤلاء العقلانيين، ونقض لبعض قواعدهم التي يواجهون بها الأحاديث..

3-شروط المحدثين وكفايتها، وشروط الشيخين في قبول الخبر:

يقوم منهج المحدثين –باختصار- على أمرين اثنين منضبطين كل الانضباط:

1-الثقة بمصدر الرواية.

2-عدم العلم بما يشكك في صحة الرواية

1- الثقة بمصدر الرواية (الراوي)؛ ولو على غلبة الظن.

وتقوم الثقة بمعرفة هذا الراوي؛ بعينه -أي بما يميزه عن غيره من الرواة-، وبحاله -أي بما يجعلنا مطمئنين إلى صدقه وإلى أمانته وضبطه-، ويكون ذلك بالبحث في أخبار هذا الراوي وما قيل عنه، ويكفي هنا تعديل واحد فأكثر ممن اشتهرت عدالتهم، مع عدم العلم بما ينقض ذلك..

2- عدم العلم بما يمنع من قبول هذه الرواية، أو يشكك فيها.

والمانع يكون في أمرين:

أ-اتصال الراوي بمصدر الخبر:

فإذا كان هناك ما يشكك في قبول الخبر عند الناقد فإنه يتوقف فيه ولذلك اشترط العلماء اتصال الراوي بالخبر ولو على غلبة الظن؛ فإما أن يكون وقع عليه بنفسه أو سمع ممن وقع عليه بنفسه أو سمع ممن سمع ممن وقع عليه بنفسه...الخ؛ فإذا لم يكن الواقع مسعفاً لهذا الراوي وإلا فإنه يشكك في اتصاله.

ب-في الخبر نفسه:

ويكون في أمرين أيضاً:

1-في ألفاظ الخبر: وذلك بمقارنة الخبر من خلال رواياته جميعاً واستبعاد الألفاظ المشكوك فيها والتي يرويها من هو أقل ضبطاً أو أقل عدداً..

2-في معنى الخبر: والمانع المتفق عليه عند المحدثين والذي يمنع من قبول الحديث هو: تناقض الحديث مع القرآن أو مع السنة المتواترة -وهنا يقدم كل منهما عليه-، أو مع حديث آخر -وهنا يبحث عن الصواب منهما-، أو مع الواقع -سواء كان مشاهداً أو لازماً[3] أو متواتراً-، وهنا يقدم الواقع؛ وإن اختلفوا -نظرياً وعملياً- في بعض التفاصيل، وبعضها غير مؤثر.

ومن هنا كان شرط المحدثين في الحديث المقبول: أن يرويه العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه من غير مانع يمنع من قبول الرواية، أو كما يعبر المحدثون: من غير شذوذ ولا علة، والشذوذ يكون في الروايات نفسها، أما العلة فتكون بمناقضة الروايات لبعضها أو للقرآن والسنة، أو للواقع -على نحو ما قدمنا-.

وشروط الشيخين البخاري ومسلم لم تخرج عن شروط أهل الحديث السابقة في عمومها وإن كانت قد اتسمت بالتشدد في بعض الجوانب، ويشهد بذلك اختيارات الشيخين للأحاديث والروايات التي تضمنها صحيحاهما..

بل يمكننا القول بأن الشيخين قد انتقيا أحاديثهما وفقاً لأحكم المواصفات في التعامل مع الأخبار، يشهد بذلك أمران:

---

[3] يجب التنبه إلى أن المحدثين اشترطوا مناقضة الواقع لا مخالفته، فلو جاء خبر بأن طفلاً نطق في المهد فهذا مخالف للواقع الذي نراه واعتدناه؛ أي يخالف العادة التي اعتدناها وهي: أن الطفل لا يتكلم؛ فهذا الخبر لا يرد لأنه لا يوجد ما يمنع من تحققه، ولكن لو جاء خبر بأن الشمس لم تطلع يوماً على الأرض -على سبيل المثال-، أو أن الشمس تطلع من الجنوب فإن هذا الخبر يرد قطعاً؛ (لمناقضته) الواقع.

أولهما: إجماع أهل الشأن على تلقي جماهير حديثهما بالقبول وتقريرهم لما روياه في صحيحيهما..

وثانيهما: المشاهدة حيث نجد عند البحث في أي حديث روياه بأنهما اختاراه على علم مثل الروايات المختلفة في الإسراء والمعراج وغيرها.. والكلام في هذا يطول..

عرض لبعض الأحاديث المنتقدة بدعوى مخالفة العقل:

1-حديث سحر النبي صلى ا عليه وسلم[4]:

عن عائِشَةَ ، رضِي الله عنْها ، قَالَتْ:

"سحر رسولَ ا ـ صلى ا عليه وسلم رجلٌ مِن بني زريقٍ يقَالُ له لَبِيد بن الأعصمِ حتى كان رسولُ ا ـ صلى ا عليه وسلم يخَيلُ إِلَيهِ أَنه يفْعلُ الشيء وما فَعلَه حتى إِذَا كان ذَاتَ يومٍ ، أَو ذَاتَ لَيلَةٍ وهو عِنْدِي لَكِنه دعا ودعا ثم قَالَ يا عائِشَةُ أَشَعرتِ أَن الله أَفْتَانِي فِيما استَفْتَيتُه فِيهِ أَتَانِي رجلَان فَقَعد أَحدهما عِنْد رأْسِي والآخَر عِنْد رِجلَي فَقَالَ أَحدهما لِصاحِبِهِ ما وجع الرجل فَقَالَ مطْبوب قَالَ من طَبه قَالَ لَبِيد بن الأعصمِ قَالَ فِي أَى شَيءٍ قَالَ فِي مشْطٍ ومشَاطَةٍ وجف طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ قَالَ وأَين هو قَالَ فِي بِئْرِ ذَروان فَأَتَاها رسولُ ا ـ صلى ا عليه وسلم فِي نَاسٍ مِن أَصحابِهِ فَجاء فَقَالَ يا عائِشَةُ كَأَن ماءها نُقَاعةُ الْحِناءِ ، أَو كَأَن رؤُوس نَخْلِها رؤُوس الشياطِين قُلْتُ يا رسولَ ا ـ أَفَلا أَستَخْرجه قَالَ قَد عافَانِي الله فَكَرهتُ أَن أُثَور علَى الناسِ فِيهِ شَرا فَأَمر بِها فَدفِنَتْ"أهـ.

وقد أنكر العقلانيون هذا الحديث بدعوى أنه مخالف لمبدأ عصمة الرسول صلى ا عليه وسلم!

قالوا: ثم كيف كان الرسول صلى ا عليه وسلم يتلقى الوحي وهو مسحور؟

والجواب على هاتين الشبهتين من القرآن العظيم:

فقد قال تعالى -في سياق قصة موسى عليه السلام-: (قَالُوا يا موسى إِما أَن تُلْقِي وإِما أَن نَكُون أَولَ من أَلْقَى (65) قَالَ بلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبالُهم وعِصِيهم يخَيلُ إِلَيهِ مِن سِحرِهِم أَنها تَسعى (66) فَأَوجس فِي نَفْسِهِ خِيفَةً موسى (67) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنك أَنْتَ الْأَعلَى (68) وأَلْقِ ما فِي يمِينِك تَلْقَفْ ما صنَعوا إِنما صنَعوا كَيد ساحِرٍ ولَا يفْلِح الساحِر حيثُ أَتَى (69))

وهذه الآية ترد عليهم الشبهتين معاً.

فقد وقع موسى تحت تأثير السحر فسحروا عينه حتى خيلت له أمور لم تكن في الواقع! فخيل إليه من سحرهم أنها تسعى، وقد تأثر بالسحر حتى إنه أوجس في نفسه خيفة.

إلا أن الوحي سرعان ما أسعفه فقال ا تعالى له: (لَا تَخَفْ إِنك أَنْتَ الْأَعلَى (68) وأَلْقِ ما فِي يمِينِك تَلْقَفْ ما صنَعوا إِنما صنَعوا كَيد ساحِرٍ ولَا يفْلِح الساحِر حيثُ أَتَى (69))، وهذا دليل واضح على أن النبي الكريم موسى عليه السلام قد تلقى الوحي وهو واقع تحت تأثير السحر وفهم وعقل ما جاء به الوحي ونفذ ما أمره ا تعالى به!

وفي هذا دليل أكيد على أن السحر لا ينافي عصمة الأنبياء ولا يمنع من تلقي الوحي أو فهمه! مع العلم بأن أصحاب الشبهات لم يأتوا بقاعدة صحيحة أو برهان مبين على عدم صحة الخبر ولم يأتوا بكلام علمي على عدم جواز وقوع

---

[4] البخاري، (5762)، ومسلم (5832)

السحر على النبي صلى ا عليه وسلم، أو على أن المسحور لا يعقل ما يقال له!

2-حديث توقف الشمس لأحد الأنبياء[5]:

عن أَبِي هريرةَ ، رضِي الله عنْه ، قَالَ : قَالَ رسولُ ا ـ صلى ا عليه وسلم : غَزا نَبِي مِن الأَنْبِياءِ فَقَالَ لِقَومِهِ لاَ يتْبعنِي رجلٌ ملَك بضع امرأَةٍ وهو يرِيد أَن يبنِي بِها ولَما يبن بِها ، ولاَ أَحد بنَى بيوتًا ولَم يرفَع سقُوفَها ، ولاَ أَحد اشْتَرى غَنَما ، أَو خَلِفَاتٍ وهو ينْتَظِر وِلاَدها فَغَزا فَدنَا مِن الْقَريةِ صلاَةَ الْعصرِ ، أَو قَرِيبا مِن ذَلِك فَقَالَ لِلشمسِ إِنكِ مأْمورةٌ وأَنَا مأْمور اللهم احبِسها علَينَا فَحبِستْ حتى فَتَح الله علَيهِ فَجمع الْغَنَائِم فَجاءتْ ، يعنِي النار - لِتَأْكُلَها فَلَم تَطْعمها فَقَالَ إِن فِيكُم غُلُولاً فَلْيبايِعنِي مِن كُلِ قَبِيلَةٍ رجلٌ فَلَزِقَتْ يد رجلٍ بِيدِهِ فَقَالَ فِيكُم الْغُلُولُ فَلْتُبايِعنِي قَبِيلَتُك فَلَزِقَتْ يد رجلَين ، أَو ثَلاَثَةٍ بِيدِهِ فَقَالَ فِيكُم الْغُلُولُ فَجاؤُوا بِرأْسٍ مِثْلِ رأْسِ بقَرةٍ مِن الذهبِ فَوضعوها فَجاءتِ النار فَأَكَلَتْها ثُم أَحل الله لَنَا الْغَنَائِم رأَى ضعفَنَا وعجزنَا فَأَحلها لَنَا".

قالوا كيف توقفت الشمس؟ وزعموا أن هذا لم ينقل، كما أن الحس يأباه!

فنقول:

أما استشكالكم فهو مستشكل لأنكم لم تأتوا بدليل عليه أو على استنكار الأمر!

أما أنه لم ينقل فهذا غير صحيح فماذا تقولون عن هذا الحديث؟ ثم إنكم لم تحيطوا بكل نقل في الدنيا! حتى تزعموا هذا الزعم!

أما مخالفته للحس فهذا كلام غير دقيق فالأمر غير محسوس أصلاً! فما الذي يخالف الحس هنا؟

إذا زعمتم أنكم أحطتم بحركة الشمس فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين!

وأمر آخر وهو أنني قرأت في كتاب "عقيدة المسلم" لعبد الحميد السائح نقله عن عالم روسي وقوع مثل هذه الحادثة بطريقة علمية حسابية فقد أثبت العالم الروسي بطريقة علمية قامت على حساب حركة الشمس أنها توقفت لفترة محدودة (انظر عقيدة المسلم ص)..

3-حديث الجساسة والدجال[6]:

7573 - حدثَنَا عبد الْوارِثِ بن عبدِ الصمدِ بن عبدِ الْوارِثِ وحجاج بن الشاعِرِ كِلاَهما عن عبدِ الصمدِ - واللفْظُ لِعبدِ الْوارِثِ بن عبدِ الصمدِ - حدثَنَا أَبِى عن جدى عن الْحسينِ بن ذَكْوان حدثَنَا ابن بريدةَ حدثَنِى عامِر بن شَراحِيلَ الشعبِى شَعب همدان أَنه سأَلَ فَاطِمةَ بِنْتَ قَيسٍ أُخْتَ الضحاكِ بن قَيسٍ وكَانَتْ مِن الْمهاجِراتِ الأُول فَقَالَ حدثِينِى حدِيثًا سمِعتِيهِ مِن رسول اللهِ -صلى ا عليه وسلم- لاَ تُسنِدِيهِ إِلَى أَحدٍ غَيرِهِ فَقَالَتْ لَئِن شِئْتَ لأَفْعلَن فَقَالَ لَها أَجلْ حدثِينِى. فَقَالَتْ نَكَحتُ ابن الْمغِيرةِ وهو مِن خِيارِ شَبابِ قُريشٍ يومئِذٍ فَأُصِيب فِى أَولِ الْجِهادِ مع رسول اللهِ -صلى ا عليه وسلم- فَلَما تَأَيمتُ خَطَبنِى عبد الرحمن بن عوفٍ فِى نَفَرٍ مِن أَصحابِ رسول اللهِ -صلى ا عليه وسلم- وخَطَبنِى رسولُ اللهِ -صلى ا عليه وسلم- علَى مولاَه أُسامةَ بن زيدٍ وكُنْتُ قَد حدثْتُ أَن رسولَ اللهِ -صلى ا عليه وسلم- قَالَ « من أَحبنِى فَلْيحِب

---

[5] البخاري3124، ومسلم4653

[6] مسلم7573

أُسامةَ ». فلما كلمنِى رسولُ اللهِ -صلى ا عليه وسلم- قُلْتُ أَمرِى بِيدِك فَأَنْكِحنِى من شِئْتَ فَقَالَ « انْتَقِلى إِلَى أُم شَرِيكٍ ». وأُم شَرِيكٍ امرأَةٌ غَنِيةٌ مِن الأَنْصار عظِيمةُ النفَقَةِ فِى سبِيل اللهِ ينْزِلُ عليها الضيفَان فَقُلْتُ سأَفْعلُ فَقَالَ « لاَ تَفْعِلى إِن أُم شَرِيكٍ امرأَةٌ كَثِيرةُ الضيفَان فَإِنى أَكْره أَن يسقُطَ عنْكِ خِمارِكِ أَو ينْكَشِفَ الثوب عن ساقَيكِ فَيرى الْقَوم مِنْكِ بعض ما تَكْرهِين ولَكِن انْتَقِلى إِلَى ابن عمكِ عبدِ اللهِ بن عمرٍو ابن أُم مكْتُومٍ ». - وهو رجلٌ مِن بنِى فِهرٍ فِهرِ قُريشٍ وهو مِن الْبطْن الَّذِى هِى مِنْه - فَانْتَقَلْتُ إِلَيهِ فَلَما انْقَضتْ عِدتِى سمِعتُ نِداء الْمنَادِى منَادِى رسول اللهِ -صلى ا عليه وسلم- ينَادِى الصلاَةَ جامِعةً. فَخَرجتُ إِلَى الْمسجِدِ فَصليتُ مع رسول اللهِ -صلى ا عليه وسلم- فَكُنْتُ فِى صف النساءِ الَّتِى تَلِى ظُهور الْقَومِ فَلَما قَضى رسولُ اللهِ -صلى ا عليه وسلم- صلاَتَه جلَس علَى الْمِنْبر وهو يضحك فَقَالَ « لِيلْزم كُل إِنْسانٍ مصلاه ». ثُم قَالَ « أَتَدرون لِم جمعتُكُم ». قَالُوا الله ورسولُه أَعلَم.

قَالَ « إِنى واللهِ ما جمعتُكُم لِرغْبةٍ ولاَ لِرهبةٍ ولَكِن جمعتُكُم لأَن تَمِيما الدارِى كَان رجلاً نَصرانِيا فَجاء فَبايع وأَسلَم وحدثَنِى حدِيثًا وافَقَ الَّذِى كُنْتُ أُحدثُكُم عن مسِيحِ الدجال حدثَنِى أَنه ركِب فِى سفِينَةٍ بحرِيةٍ مع ثَلاَثِين رجلاً مِن لَخْمٍ وجذَام فَلَعِب بِهِم الْموج شَهرا فِى الْبحر ثُم أَرفَئُوا إِلَى جزِيرةٍ فِى الْبحر حتى مغْرِبِ الشمسِ فَجلَسوا فِى أَقْرِبِ السفِينَةِ فَدخَلُوا الْجزِيرةَ فَلَقِيتْهم دابةٌ أَهلَب كَثِير الشعر لاَ يدرون ما قُبلُه مِن دبرِهِ مِن كَثْرةِ الشعر فَقَالُوا ويلَكِ ما أَنْتِ فَقَالَتْ أَنَا الْجساسةُ. قَالُوا وما الْجساسةُ قَالَتْ أَيها الْقَوم انْطَلِقُوا إِلَى هذَا الرجل فِى الديرِ فَإِنه إِلَى خَبرِكُم بِالأَشْواق. قَالَ لَما سمتْ لَنَا رجلاً فَرِقْنَا مِنْها أَن تَكُون شَيطَانَةً - قَالَ - فَانْطَلَقْنَا سِراعا حتى دخَلْنَا الدير فَإِذَا فِيهِ أَعظَم إِنْسانٍ رأَينَاه قَط خَلْقًا وأَشَده وِثَاقًا مجموعةٌ يداه إِلَى عنُقِهِ ما بين ركْبتَيهِ إِلَى كَعبيهِ بِالْحدِيدِ قُلْنَا ويلَك ما أَنْتَ قَالَ قَد قَدرتُم علَى خَبرِى فَأَخْبِرونِى ما أَنْتُم قَالُوا نَحن أُنَاس مِن الْعربِ ركِبنَا فِى سفِينَةٍ بحرِيةٍ فَصادفْنَا الْبحر حِين اغْتَلَم فَلَعِب بِنَا الْموج شَهرا ثُم أَرفَأْنَا إِلَى جزِيرتِك هذِهِ فَجلَسنَا فِى أَقْرِبِها فَدخَلْنَا الْجزِيرةَ فَلَقِيتْنَا دابةٌ أَهلَب كَثِير الشعر لاَ يدرى ما قُبلُه مِن دبرِهِ مِن كَثْرةِ الشعر فَقُلْنَا ويلَكِ ما أَنْتِ فَقَالَتْ أَنَا الْجساسةُ.

قُلْنَا وما الْجساسةُ قَالَتِ اعمِدوا إِلَى هذَا الرجل فِى الديرِ فَإِنه إِلَى خَبرِكُم بِالأَشْواقِ فَأَقْبلْنَا إِلَيك سِراعا وفَزِعنَا مِنْها ولَم نَأْمن أَن تَكُون شَيطَانَةً فَقَالَ أَخْبِرونِى عن نَخْل بيسان قُلْنَا عن أَى شَأْنِها تَستَخْبِر قَالَ أَسأَلُكُم عن نَخْلِها هلْ يثْمِر قُلْنَا لَه نَعم. قَالَ أَما إِنه يوشِك أَن لاَ تُثْمِر قَالَ أَخْبِرونِى عن بحيرةِ الطبرِيةِ. قُلْنَا عن أَى شَأْنِها تَستَخْبِر قَالَ هلْ فِيها ماء قَالُوا هِى كَثِيرةُ الْماءِ. قَالَ أَما إِن ماءها يوشِك أَن يذْهب. قَالَ أَخْبِرونِى عن عين زغَر. قَالُوا عن أَى شَأْنِها تَستَخْبِر قَالَ هلْ فِى الْعين ماء وهلْ يزرع أَهلُها بِماءِ الْعين قُلْنَا لَه نَعم هِى كَثِيرةُ الْماءِ وأَهلُها يزرعون مِن مائِها. قَالَ أَخْبِرونِى عن نَبِى الأُميين ما فَعلَ قَالُوا قَد خَرج مِن مكةَ ونَزلَ يثْرِب. قَالَ أَقَاتَلَه الْعرب قُلْنَا نَعم. قَالَ كَيفَ صنَع بِهِم فَأَخْبرنَاه أَنه قَد ظَهر علَى من يلِيهِ مِن الْعربِ وأَطَاعوه قَالَ لَهم قَد كَان ذَلِك قُلْنَا نَعم. قَالَ أَما إِن ذَاك خَير لَهم أَن يطِيعوه وإِنى مخْبِركُم عنى إِنى أَنَا الْمسِيح وإِنى أُوشِك أَن يؤْذَن لِى فِى الْخُروجِ فَأَخْرج فَأَسِير فِى الأَرضِ فَلاَ أَدع قَريةً إِلا هبطْتُها فِى أَربعِين لَيلَةً غَير مكةَ وطَيبةَ فَهما محرمتَان علَى كِلْتَاهما كُلما أَردتُ أَن أَدخُلَ واحِدةً أَو واحِدا مِنْهما استَقْبلَنِى ملَك بِيدِهِ السيفُ صلْتًا يصدنِى عنْها وإِن علَى كُل نَقْبٍ مِنْها ملاَئِكَةً يحرسونَها قَالَتْ قَالَ رسولُ اللهِ -صلى ا عليه وسلم- وطَعن بِمِخْصرتِهِ فِى الْمِنْبر « هذِهِ طَيبةُ هذِهِ طَيبةُ هذِهِ طَيبةُ ». يعنِى الْمدِينَةَ « أَلاَ هلْ كُنْتُ حدثْتُكُم ذَلِك ». فَقَالَ الناس نَعم « فَإِنه أَعجبنِى حدِيثُ تَمِيمٍ أَنه وافَقَ الَّذِى كُنْتُ أُحدثُكُم عنْه وعن الْمدِينَةِ ومكةَ أَلاَ إِنه فِى بحر الشامِ أَو بحر الْيمن لاَ بلْ مِن قِبلِ الْمشْرِق ما هو مِن قِبلِ الْمشْرِق ما هو مِن قِبلِ الْمشْرِق ما هو ». وأَومأَ بِيدِهِ إِلَى الْمشْرِق.

قَالَتْ فَحفِظْتُ هذَا مِن رسول اللهِ -صلى ا عليه وسلم-".

الشبهات:

قالوا أين هو هذا الدجال وقد مسحنا الأرض شرقاً وغرباً ولم نجده!

كيف يعيش كل هذه المدة؟

أما قولهم ما هي هذه الخوارق؟ ومن الذي يستطيعها؟ كيف يشق إنساناً نصفين ويحييه، وكيف يستمطر السماء فتمطر، وكيف يجعل الأرض تنبت بهذه السرعة؟

الجواب على هذه الشبهات:

أما قولهم أين هو الدجال؟ وزعمهم أنهم مسحوا الأرض شرقاً وغرباً! فنرد عليه بأن عليهم أن يثبتوا لنا أنهم مسحوا الأرض شرقاً وغرباً! وأنهم لم يتركوا شبراً في الأرض إلا ورأوه ووطأته أقدامهم! فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا فإن عليهم أن يتواضعوا قليلاً ويعلموا أنه لا يحل لهم تكذيب شيء لم يحيطوا بعلمه..

هذا مع العلم بأننا كنا ولا زلنا نقرأ في الصحف التي تصدر هنا وهناك اكتشاف جزيرة جديدة أو أرض جديدة أو قبائل جديدة...الخ.. مما يكذب ادعاءهم بأن الأرض مسحت كلها شرقاً وغرباً!

ثم لو افترضنا أنهم مسحوا الأرض شرقاً وغرباً فما المانع عندهم أن يعمي ا أبصارهم عن الدجال؟ وقد تاه بنو إسرائيل في الأرض أربعين سنة وكانوا في مكان معروف مألوف! فما الذي يمنع أن يمنع ا تعالى الناس من مشاهدة الدجال؟

أما قولهم كيف يعيش كل هذه المدة؟ فكلام عجيب غريب! فهذا المخلوق فتنة أبقاه ا تعالى بقدرته التي لا يحدها شيء ولا يوجد ما يمنع من بقائه كل هذه المدة مطلقاً!

وعلى كل حال لا يكفي أن تستشكلوا ذلك بل لا بد من أن تأتوا بالبرهان على عدم صحته وإلا فإننا لا نرد خبراً رواه الثقات لأجل استشكالكم!

ومن العجيب أن ممن ردوا الخبر أقوام يؤمنون بوجود الخضر! منذ عهد موسى -وربما قبله- وإلى يومنا هذا! وبعضهم يؤمن بوجود ذلك المخلوق الخرافي الذي يدعى المهدي في سرداب منذ ألف ومائتي عام حتى اليوم! دون برهان أو سند ويرفضون حديث الدجال الذي رواه الثقات بأسانيد متصلة لا يستطيع أحد منه التشكيك فيها!

أما قولهم ما هي هذه الخوارق؟ ومن الذي يستطيعها؟ كيف يشق إنساناً نصفين ويحييه، وكيف يستمطر السماء فتمطر، وكيف يجعل الأرض تنبت بهذه السرعة؟

فنجيب هنا ونقول: وهل هو إلا فتنة؟ ولذلك فما الغرابة أن يقع على يديه مثل هذه الخوارق؟ ثم تعالوا نستعرض هذه الخوارق لنرى أنها ليست إلا أموراً تحقق كثير منها في أيامنا هذه على يد غير الدجال بسبب تقدم العلم! أما شق إنسان نصفين وإقامته: فهذا إن كان غريباً وعجيباً في تلك الأيام فهو ليس كذلك اليوم! وها نحن نرى كيف يشق صدر إنسان ويستخرج قلبه وأي شيء من جسده ثم يعاد مرة أخرى،على أنه لا بد من التنبيه إلى أمر مهم وهو أن الأحاديث التي تذكر الدجال لا تذكر أنه يحيي أو يميت وكل ما في الأمر هنا أنه يشق إنساناً نصفين وهذا لا يعني طلوع روحه وموته مباشره وإعادة شقيه مرة أخرى هنا لا مانع منها وتصور الأمر سهل لمن لم يكن في قلبه مرض ويجعل الأصل في أخبار

الصحيحين الشك والتكذيب! ومن المعلوم والمتفق عليه عند الأطباء أن الذي يقطع رأسه مثلاً لا يموت بمجرد قطع رأسه!

ومثل ذلك يقال في الاستمطار والاستنبات فهي أمور علمية مشاهدة اليوم يراها من يشاء!

وكلنا يعلم بتجارب الاستمطار التي يقوم بها العلماء بين الحين والآخر وكذلك طرق الاستنبات الحديثة بدون تربة وفي التربة المالحة والاستنبات السريع...الخ

وتعليقاً على شبهة أن هذه الخوارق تضع العذر لمن يصدق الدجال نقول:

هذه الشبهة واهية! فالذي يصدق الدجال في ادعاء الألوهية لم يكن مؤمناً قط لأمرين:

أولهما: أن القرآن والسنة دلا في كل جملة منهما على عظمة ا تعالى وقدرته وقوته... وجميع صفاته المطلقة وأنه سبحانه ليس كمثله شيء؛ فالذي يصدق هذا الدجال وهو يراه بشراً مثله محدوداً بزمان ومكان مثله وهو يترك معه في صفات كثيرة فهذا يدل على انه لم يؤمن با تعالى مطلقاً!

وثانيهما البينات المرافقة الدالة على عدم ألوهية الدجال وقد نبهت الأحاديث عليها، ومنها:

1-أنه مكتوب بين عينيه "ك ف ر" ويقرؤها القارئ وغيره إن كان مؤمناً.

2-أنه أعور وهذه صفة نقص لا يمكن لأحد أن يصدق أن صاحبها له من الأمر شيء إذا كان من أولي النهى!

3-عدم قدرته على قتل الشاب بعد أن شقه نصفين وأقامه: وكل من يشاهد هذه الحادثة سيعلم أنه لا يملك من الأمر شيئاً.

4-عدم قدرته على دخول مكة والمدينة... وغير ذلك من بينات..

هذا بالإضافة إلى أنه ليس في شيء من خوارق الدجال ما يرقيه إلى متبة الألوهية فقد قدمنا أنها أمور علمية بحتة ربما تدل على تقدم الدجال علمياً، فهيأ ا تعالى له بهذا العلم تسخير بعض السنن لصالح ادعاءاته! والتقدم العلمي لا يعني أنه أصبح إلهاً ولا يعطي العذر لمن يصدقه، مع ما قدمنا من عيوب في الدجال تمنع من تصديقه.

4-حديث كلام الذئب والبقرة:

عن أَبِي هريرةَ ، رضِي الله عنْه ، قَالَ صلى رسولُ ا ـ صلى ا عليه وسلم صلاَةَ الصبحِ ثُم أَقْبلَ علَى الناسِ فَقَالَ بينَا رجلٌ يسوقُ بقَرةً إِذْ ركِبها فَضربها فَقَالَتْ إِنا لَم نُخْلَقْ لِهذَا إِنما خُلِقْنَا لِلْحرثِ فَقَالَ الناس سبحان ا ـ بقَرةٌ تَكَلم فَقَالَ فَإِني أُومِن بِهذَا أَنَا ، وأَبو بكْرٍ وعمر - وما هما ثَم - وبينَما رجلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عدا الذِّئْب فَذَهب مِنْها بِشَاةٍ فَطَلَب حتى كَأَنه استَنْقَذَها مِنْه فَقَالَ لَه الذِّئْب هذَا استَنْقَذْتَها مِني فَمن لَها يوم السبعِ يوم لاَ راعِي لَها غَيرِي فَقَالَ الناس سبحان ا ـ ذِئْب يتَكَلم قَالَ فَإِني أُومِن بِهذَا أَنَا ، وأَبو بكْرٍ وعمر وما هما ثَم"[7].

الشبهات:

قالوا: ما الذي استفدناه من هذا الحديث؟ وكيف نصدق أن بقرة تتكلم وأن ذئباً يتكلم؟ ولماذا؟.

---

[7] البخاري3471، ومسلم2388

الجواب: إن فقه الخبر الذي يصدر عن رسول ا صلى ا عليه وسلم لا يوفق ا تعالى إليه من أراد به خيراً كما قال النبي صلى ا عليه وسلم: "من يرد ا به خيراً يفقهه في الدين".. ومن العجيب أن البعض قد يرد الحديث أو يستشكله لعدم فهمه له أو لعدم فهم مراده!

أما فوائد هذا الحديث فكثيرة جداً أهمها بيان قدرة ا تعالى بالإضافة إلى إثبات فضائل العمرين رضي ا عنهما وغير ذلك الكثير..

أما فيما يتعلق بكلام الذئب والبقرة فإن المشككين لو آمنوا أن ا تعالى على كل شيء قدير فإنهم لن يضعوا مثل هذا الاستشكال ولصدقوا رسول ا صلى ا عليه وسلم فيما أخبر، فما الذي يمنع أن يتكلم الذئب أو تتكلم البقرة؟ هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين..

الخاتمة:

نلاحظ أمراً مهماً وهو أن العقلانيين ردوا الأحاديث لمخالفتها ما اعتادوا عليه؛ مع أنه لا شيء منها ينقض الواقع أو ينقضه الواقع.

ويلاحظ أمر آخر تعمدته وهو أنني لم أسق سوى الأحاديث التي تتعلق بالأمور المادية المحسوسة فقط والتي يمكن لأي إنسان أن يتثبت منها بالطرق العلمية الحديثة المتقدمة التي هي متاحة لكل إنسان بالمشاهدة أو بالمقاييس أو بالحساب أو غير ذلك!

وهذا يدل دلالة واضحة على أن هؤلاء المشككين إنما أرادوا التشكيك والتشويش وحسب وهم لا يريدون الحق ولا يسعون إليه وإلا لما ظهرت شبهاتهم المتهاوية التي تدل على الاستعجال في الطرح دون تثبت أو علم أو فقه أو فهم.

وفي الختام فإنني أنصح كل مسلم أن يكون العلم رائده، وأن لا يلتفت إلا إلى العلم الحق المحسوس المشاهد، أو ما جاءه عن ا تعالى أو عن رسول ا صلى ا عليه وسلم، فا تعالى هو الحق وكل شيء ما عداه فباطل، وهو الذي خلق هذا الخلق بالحق، وقوله حق فلا حق إلا ما صدر عنه سبحانه وتعالى من قول أو خلق أو قضاء...

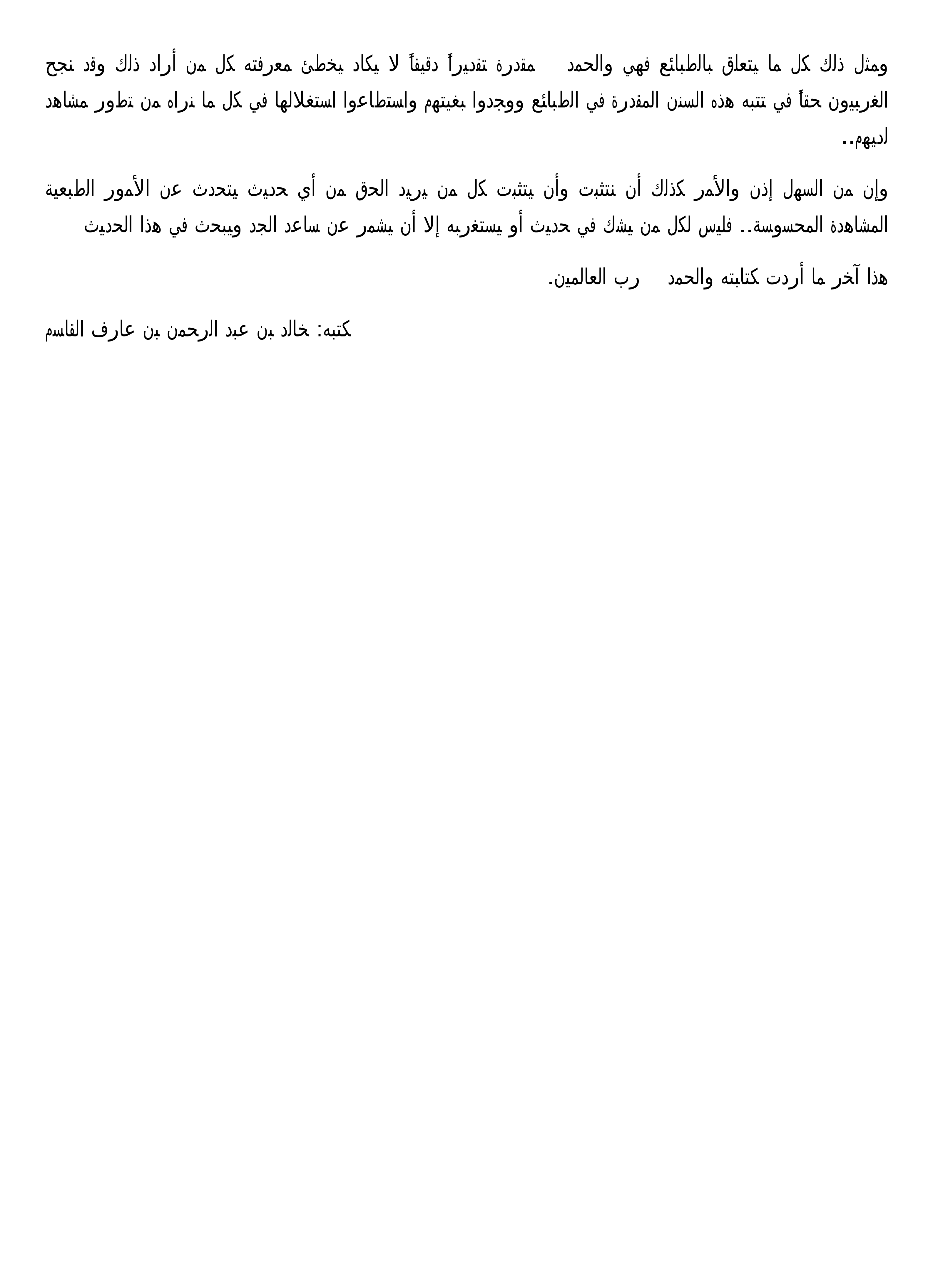
كما أنني أنصح المسلمين بالمنهجية الصحيحة التي سار عليها أهل الحديث في التثبت من الأخبار..

وفيما يتعلق بالشبهات فإن لديهم عصمتان عامتان لن يضلوا إذا ساروا على هديهما وهما مما علمنا ا تعالى..

أولاهما: عدم التكذيب لأي خبر من الأخبار مهما بلغ الشك في نفس الإنسان تجاهه ومهما استغربه أو استهجنه أو استشنعه أو استبشعه أو استنكره...الخ فكل ذلك إنما هو انطباعات نفسية لا تقدم ولا تؤخر ولا يكذب الخبر في النهاية سوى الحقائق المشاهدة المحسوسة لا سواها..

وثانيهما: التثبت وبخاصة للأحاديث التي تتحدث عن أمور مشاهدة محسوسة يمكن التثبت منها بيسر وسهولة من خلال وسائل التثبت العلمية والمنهجية الحديثة المعروفة..

إن جميع ما يتعلق بالشمس وحركتها ومثلها القمر والكواكب وأحوال الجو من رياح وغيرها كل ذلك أصبح من الممكن جداً دراسته ومعرفة كل ما يتعلق به ماضياً وحاضراً ومستقبلاً لانضباطه التام الذي قدره العزيز العليم..



ومثل ذلك كل ما يتعلق بالطبائع فهي والحمد مقدرة تقديراً دقيقاً لا يكاد يخطئ معرفته كل من أراد ذلك وقد نجح الغربيون حقاً في تتبه هذه السنن المقدرة في الطبائع ووجدوا بغيتهم واستطاعوا استغلالها في كل ما نراه من تطور مشاهد لديهم..

وإن من السهل إذن والأمر كذلك أن نتثبت وأن يتثبت كل من يريد الحق من أي حديث يتحدث عن الأمور الطبعية المشاهدة المحسوسة.. فليس لكل من يشك في حديث أو يستغربه إلا أن يشمر عن ساعد الجد ويبحث في هذا الحديث

هذا آخر ما أردت كتابته والحمد رب العالمين.

كتبه: خالد بن عبد الرحمن بن عارف القاسم